الباب الرابع والعشرون

في ذكر ما احتجَّت به الأغنياء من الكتاب، والسُنة، والآثار والاعتبار

قالت الأغنياء: لقد أجلبتم علينا أيها الفقراء بخيل الأدلة ورجلها ونحن نعلم أن عندكم مثلها وأكثر من مثلها ولكن توسطتم بين التطويل والاختصار، وظننتم أنها حكمت لكم بالفضل دون ذوي اليسار ونحن نحاكمكم إلى ما حاكمتمونا إليه، ونعرض بضاعتنا على من عرضتم بضاعتكم عليه ونضع أدلتنا وأدلتكم، في ميزان الشرع، والعقل الذي لا يعزل فحينئذ يتبين لنا ولكم الفاضل من المفضول ولكن أخرجوا من بيننا من تشبه بالفقراء الصادقين الصابرين ولبس لباسهم على قلب أحرص الناس على الدنيا وأشحهم عليها وأبعدهم من الفقر والصبر من كل مظهر للفقر مبطن للحرص غافل عن ربه متبع لهواه مفرط في أمر معاده قد جعل زي الفقر صناعة وتحلى بما هو أبعد الناس منه بضاعة، أو فقير حاجة فقره اضطرار لا اختيارا فزهده زهد إفلاس لا زهد رغبة في الله والدار الآخرة أو فقير يشكو ربه بلسان قاله وحاله غير راض عن ربه في فقره بل إن أعطي رضي وإن منع سخط شديد اللهفة على الدنيا والحسرة عليها وهو أفقر الناس فيها فهو أرغب شيء فيها وهي أزهد شيء فيه وأخرجوا من بيننا ذي الثروة الجموع الممنوع المتكاثر بماله المستأثر به الذي قد عض عليه بناجذه وثنى عليه خناصره يفرح بزيادته ويأسى على نقصانه، فقلبه به مشغوف وهو على تحصيله ملهوف إن عرض سوق الإنفاق والبذل أعطى قليلاً وأكدى وإن دعي إلى الإيثار أمعن في الهرب جداً وأخلصونا وإخواننا من سباق الطائفتين، وسادات الفريقين الذين تسابقوا إلى الله والدار الآخرة بإيمانهم وأحوالهم ونافسوا في القرب منه بأعمالهم وأموالهم فقلوبهم عاكفة عليه وهمتهم إلى المسابقة إليه ينظر غنيهم الى

فقيرهم فاذا رآه قد سبقه إلى عمل صالح شمر إلى اللحاق به وينظر فقيرهم إلى غنيهم فإذا رآه قد فاته بإنفاق في طاعة الله أنفق هو من أعماله وأقواله وصبره وزهده نظير ذلك أو أكثر منه فهؤلاء إخواننا الذين تكلم الناس في التفضيل بينهم وأيهم أعلى درجة وأما أولئك فإنما ينظر أيهم تحت الآخر في العذاب وأسفل منه والله المستعان.

فضيلة الغنى على الصبر، في السنة، والقرآن الكريم

إذا عُرف هذا فقد مدح الله سبحانه في كتابه أعمالاً وأثنى على أصحابها ولا تحصل إلا بالغنى كالزكاة والإنفاق في وجوه البر والجهاد في سبيل الله بالمال وتجهيز الغزاة وإعانة المحاويج وفك الرقاب والإطعام في زمن المسغبة وأين يقع صبر الفقير من فرحه الملهوف المضطر المشرف على الهلاك إذا أعانه الغني ونصره على فقره ومخمصته وأين يقع صبره من الغني بماله في نصرة دين الله وإعلاء كلمته، وكسر أعدائه وأين يقع صبر أبي ذر على فقره إلى شكر الصديق وشرائه المعذبين في الله وإعتاقهم وإنفاقه على نصرة الإسلام حين قال النبي ﷺ: **«ما نفعني مال أحدٍ ما نفعني مال أبي بكر»**. وأين يقع صبر أهل الصفة من إنفاق عثمان بن عفان تلك النفقات العظيمة التي قال له رسول الله ﷺ في بعضها: **«ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم»**. ثم قال: **«غفر الله لك يا عثمان ما أسررتَ، وما أعلنتَ، وما أخفيتَ وما أبديت»**. أو كما قال.

وإذا تأملتم القرآن وجدتم الثناء فيه على المنفقين أضعاف الثناء على الفقراء الصابرين وقد شهد رسول الله ﷺ بأن: اليد العليا خير من اليد السفلى، وفسر اليد العليا: بالمعطية والسفلى: بالسائلة، وقد عدد الله سبحانه على رسوله ﷺ من نعمه أن أغناه بعد فقره وكان غناه هو الحالة التي نقله إليها وفقره الحالة التي نقله منها وهو سبحانه كان ينقله من الشيء إلى ما هو خير منه وقد قيل في قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ (الضحى: ٤) إن المراد به الحالتان أي كل حالة خير لك مما قبلها ولهذا أعقبه بقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾ (الضحى: ٥). فهذا يدخل فيه عطاؤه في الدنيا والآخرة.

قالوا: والغنى مع الشكر زيادة فضل ورحمة ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (البقرة: ١٠٥) قالوا: والأغنياء الشاكرون سبب لطاعة الفقراء الصابرين لتقويتهم إياهم بالصدقة عليهم والإحسان إليهم وإعانتهم على طاعتهم فلهم نصيب وافر من أجور الفقراء زيادة الى نصيبهم من أجر الإنفاق وطاعاتهم التي تخصهم كما في صحيح ابن خزيمة من رواية سلمان الفارسي رضي الله عنه أن النبي ﷺ وذكر شهر رمضان فقال: «**من فطّر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء**» فقد حاز الغني الشاكر أجر صيامه ومثل أجر الفقير الذي فطره قالوا: ولو لم يكن للغني الشاكر إلا فضل الصدقة التي لما تفاخرت الأعمال كان الفخر لها عليهن كما ذكر النضر بن شميل عن قرة عن سعيد بن المسيّب أنه حدث عن عمر بن الخطاب قال: ذكر ان الأعمال الصالحة تتباهى فتقول الصدقة: أنا أفضلكم قالوا: والصدقة وقاية بين العبد وبين النار والمخلص المسر بها مستظل بها يوم القيامة في ظل العرش.

وقد روى عمرو بن الحارث ويزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة ابن عامر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الصدقة لتطفىء على أهلها حر القبور وإنما يستظل المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته**».

وقال يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة يرفعه: «**كل امرىءٍ في ظلّ صدقته حتى يقضي بين الناس**». قال يزيد: وكان أبو الخير لا يأتي عليه يوم إلا تصدق فيه ولو بكعكة أو بصلة وفي حديث معاذ عن النبي ﷺ: «**والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار**».

وروى البيهقي من حديث أبي يوسف القاضي عن المختار بن فلفل عن أنس يرفعه: «**باكروا بالصدقة فان البلاء لا يتخطى الصدقة**».

وفي «**الصحيحين**» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إذا تصدق العبد من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبا ـ أخذها الله بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم فلوه ـ أو فصيله ـ حتى تكون مثل الجبل العظيم**» وفي لفظ للبيهقي، في هذا الحديث: «**حتى أن التمرة أو اللقمة لتكون أعظم من أحد**» وقال

محمد بن المنكدر: من موجبات المغفرة: إطعام المسلم السغبان وقد روى مرفوعاً من غير وجه.

وإذا كان الله سبحانه قد غفر لمن سقى كلباً على شدة ظمئه فكيف بمن سقى العطاش وأشبع الجياع وكسى العراة من المسلمين وقد قال رسول الله ﷺ: **«اتقوا النار، ولو بشقِ تمرةٍ فإن لم تجدوا فبكلمةٍ طيبة»**. فجعل الكلم الطيب عوضاً عن الصدقة لمن لا يقدر عليها قالوا: وأين لذة الصدقة والإحسان وتفريحهما القلب وتقويتهما إياه وما يلقى الله سبحانه للمتصدقين من المحبة والتعظيم في قلوب عباده والدعاء لهم، والثناء عليهم وإدخال المسرات عليهم من أجر الصبر على الفقر نعم إن له لأجراً عظيماً لكن الأجر درجات عند الله.

قالوا: وأيضاً فالصدقة والإحسان والإعطاء وصف الرب تعالى وأحب عباده اليه من اتصف بذلك كما قال النبي ﷺ: **«الخلق عيال الله فأحب الخلق إليه أنفعهم لعياله»** قالوا: وقد ذكر الله سبحانه أصناف السعداء فبدأ بالمتصدقين أولهم فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ (الحديد: ١٨ ـ ١٩). فهؤلاء أصناف السعداء ومقدموهم المصدقين والمصدقات.

قالوا: وفي الصدقة فوائد ومنافع لا يحصيها الا الله فمنها أنها تقي مصارع السوء وتدفع البلاء حتى إنها لتدفع عن الظالم قال إبراهيم النخعي: وكانوا يرون أن الصدقة تدفع عن الرجل الظلوم وتطفىء الخطيئة وتحفظ المال وتجلب الرزق وتفرح القلب وتوجب الثقة بالله وحسن الظن به كما أن البخل سوء ظن بالله وترغم الشيطان ـ يعني الصدقة ـ وتزكي النفس وتنميها وتحبب العبد إلى الله وإلى خلقه وتستر عليه كل عيب كما أن البخل يغطي عليه كل حسنة وتزيد في العمر وتستجلب أدعية الناس ومحبتهم وتدفع عن صاحبها عذاب القبر وتكون عليه ظلاً يوم القيامة وتشفع له عند الله وتهون عليه شدائد الدنيا والآخرة وتدعوه إلى سائر أعمال البر فلا تستعصي عليه وفوائدها ومنافعها أضعاف ذلك.

قالوا: ولولم يكن في النفع والإحسان إلا أنه صفة الله وهو سبحانه يحب من اتصف بموجب صفاته وآثارها فيحب العليم والجواد والحييَّ والستير والمؤمن القوي أحب اليه من المؤمن الضعيف ويحب العدل والعفو والرحيم والشكور والبر والكريم، فصفته الغناء والجود ويحب الغني الجواد، قالوا: ويكفي في فضل النفع المتعدي بالمال أن الجزاء عليه من جنس العمل فمن كسى مؤمناً كساه الله من حلل الجنة ومن أشبع جائعاً أشبعه الله من ثمار الجنة ومن سقى ظمآناً سقاه الله من شراب الجنة، ومن أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار حتى فرجه بفرجه ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه قالوا: ونحن لا ننكر فضيلة الصبر على الفقر ولكن أين تقع من هذه الفضائل وقد جعل الله لكل شيء قدرا.

قالوا: وقد جعل رسول الله ﷺ الطاعم الشاكر، بمنزلة الصائم الصابر ومعلوم أنه إذا تعدى شكره إلى الإحسان إلى الغير ازداد درجة أخرى فإن الشكر يتضاعف الى مالا نهاية له بخلاف الصبر فان له حدا يقف عليه.

وهذا دليل مستقل في المسألة يوضحه أن الشاكر أفضل من الراضي الذى هو أعلى من الصابر فاذا كان الشاكر أفضل من الراضي الذي هو أفضل من الصابر كان أفضل من الصابر في درجتين.

قالوا: وفي «**الصحيحين**» من حديث الزُّهريّ عن سالم عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل والنهار**» فجعل الغنى مع الإنفاق بمنزلة القرآن مع القيام به قالوا: وقد صرح في حديث أبي كبشة الأنماري: أن صاحب المال اذا عمل في ماله بعلمه واتقى فيه ربه ووصل به رحمه وأخرج منه حق الله فهو في أعلى المنازل عند الله وهذا تصريح في تفضيله وجعل الفقير الصادق إذا نوى أن يعمل بعمله، وقال ذلك بلسانه ثانياً وأنه بنيته

وقوله وأجرهما سواء، فإن كلا منهما نوى خيراً وعمل ما يقدر عليه فالغني نواه ونفذه بعلمه والفقير العالم نواه ونفذه بلسانه فاستويا في الأجر من هذه الجهة ولا يلزم من استوائهما في أصل الأجر استواؤهما في كيفيته، وتفاصيله فإن الأجر على العمل والنية له مزية على الأجر على مجرد النية التي قارنها القول ومن نوى الحج ولم يكن له مال يحج به وإن أثيب على ذلك فان ثواب من باشر أعمال الحج مع النية له مزية عليه.

وإذا أردت فهم هذا فتأمل قول النبي ﷺ: **«من سأل الله الشهادة صادقاً من قلبه بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»**. ولا ريب أن ما حصل للمقتول في سبيل الله من ثواب الشهادة تزيد كيفيته وصفاته على ما حصل لناوي ذلك إذا مات على فراشه وإن بلغ منزلة الشهيد فههنا أجران: أجر وقرب فإن استويا في أصل الأجر لكن الأعمال التي قام بها العامل تقتضي أثراً زائداً وقربا خاصاً وهو فضل الله يؤتيه من يشاء وقد قال ﷺ: **«إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»** قالوا: هذا القاتل فما بال المقتول قال: **«إنه أراد قتل صاحبه»**. فاستويا في دخول النار وهذا لا يلزم استواؤهما في الدرجة ومقدار العذاب فأعط ألفاظ رسول الله حقها ونزلها منازلها يتبين لك المراد.

يوضح هذا أن فقراء المهاجرين شكوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ولهم فضول أموال يحجون بها، ويعتمرون ويجاهدون، ويتصدقون قال: **«أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحداً أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟»** قالوا: بلى يا رسول الله قال: **«تسبحون وتحمدون، وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين»**، فرجع فقراء المهاجرين الى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله ﷺ: **«ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»**.

فلو كانوا يلحقون بهم في مقدار الأجر بمجرد النية لقال لهم: انووا أن تفعلوا مثل فعلهم فتنالوا مثل أجرهم فلما أعاضهم عن ما فاتهم من ثواب الصدقة

والعتق والحج والاعتمار بما يحصل نظيره بالذكر علم أن الأغنياء قد فضلوهم بالإنفاق فلما شاركوهم في الذكر بقيت مزية الإنفاق فشكوا إلى رسول الله ﷺ أن الامتياز لم يزل وأنهم قد ساوونا في الذكر كما ساوونا الصوم والصلاة فأخبرهم أن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فلو كان لهم سبيل إلى مساواتهم من كل وجه بالنية والقول لدلهم عليه.

قالت الفقراء: هذا الحديث حجة لنا إذا فهم على الحقيقة وذلك أن معناه: أنهم وإن كانوا قد ساووكم في الإيمان والإسلام والصلاة والصيام ثم فضلوكم في الإنفاق ففي التكبير والتسبيح والتهليل ما يلحقكم بدرجتهم وقد ساويتموهم أيضا بحسن النية إذ لو أمكنكم لأنفقتم مثلهم وفي بعض ألفاظ هذا الحديث: «**إن أخذتم به سبقتم من قبلكم ولم يلحقكم من بعدكم**» وهذا يدل على أن الأغنياء لا يلحقونهم وإن قالوا مثل قولهم وقوله ﷺ: «**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**» معناه أن فضل الله ليس مقصوراً عليكم دونهم فكما آتاكم الله من فضله بالذكر كذلك يؤتيهم إياه إذا عملوا مثلكم أيضا فأنتم فهمتم من الفضل التخصيص فوضعتموه في غير موضعه وإنما معناه العموم والشمول وإن فضله عام شامل للأغنياء والفقراء فلا تذهبون به دونهم. فأين في هذا الحديث التفضيل لكم علينا.

قالوا: ويحتمل قوله: (ذلك فضل الله) ثلاثة أمور:

أحدها: سبقهم لكم بالإنفاق.

والثاني: مساواتكم لهم في فضيلة الذكر، فلم تختصوا بها دونهم.

والثالث: سبقكم لهم الى الجنة بنصف يوم وهذا وان كان لا ذكر له في هذه الرواية فهو مذكور في بعض طرقه قال البزار في «مسنده»: حدثنا الوليد بن عمر حدثنا محمد بن الزبرقان حدثنا موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: اشتكى فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ ما فضل به أغنياؤهم، فقالوا: يا رسول الله إخواننا صدقوا تصديقنا وآمنوا إيماننا، وصاموا صيامنا، ولهم أموال يتصدقون منها، ويصلون منها الرحم وينفقونها في سبيل الله، ونحن مساكين لا نقدر على ذلك، فقال: «**ألا أخبركم بشيء إذا أنتم فعلتموه أدركتم**

مثل فضلهم؟ قولوا: الله أكبر في كل صلاة إحدى عشرة مرة، والحمد لله مثل ذلك، ولا اله الا الله مثل ذلك، وسبحان الله مثل ذلك، تدركون مثل فضلهم»، ففعلوا فذكروا ذلك للأغنياء ففعلوا مثل ذلك فرجع الفقراء إلى رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له فقالوا: هؤلاء إخواننا فعلوا مثل ما نقول فقال: «**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء يا معشر الفقراء ألا أبشركم أن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم: خمسمائة عام**» وتلا موسى بن عبيد: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (الحج: ٤٧) قالوا: فهذا خبر واحد وكلام متصل ذكره بشارة لهم عندما ذكروا مساواة الأغنياء لهم في القول المذكور فأشبه أن يرجع الفضل إلى سبق الفقراء للأغنياء وأنهم بهذه البشارة مخصصون فكان السبق لهم دون غيرهم وإن ساووهم في القول وساووهم في الإنفاق بالنية كما في حديث أبي كبشة المتقدم وحصلت لهم مزية الفقر.

قالت الأغنياء: لقد بالغتم في صرف الحديث عن مقصوده إلى جهتكم وهو صريح في تفضيل هذا الحديث لمن أنصف فان قوله: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ (المائدة: ٥٤) خرج جواباً للفقراء عن قولهم إن أهل الدثور قد ساووهم في الذكر كما ساووهم في الصلاة والصوم والايمان وبقيت مزية الإنفاق ولم يحصل لهم ما يلحقهم فيها وما علمتنا من الذكر قد لحقونا فيه فقال لهم حينئذ: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ (المائدة: ٥٤) وهذا صريح جداً في مقصوده فلما انكسر القوم بتحقيق السبق بالانفاق الذي عجزوا عنه أخبرهم بالبشارة بالسبق الى دخول الجنة بنصف يوم وأن هذا السبق في مقابلة ما فاتكم من فضيلة الغنى والانفاق.

ولكن لا يلزم من ذلك رفعتهم عليهم في المنزلة والدرجة فهؤلاء السبعون ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب من الموقوفين للحساب من هو أفضل من أكثرهم وأعلى منه درجة.

قالوا: وقد سمى الله سبحانه المال خيراً في غير موضع من كتابه كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ﴾ (البقرة: ١٨٠)

وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ (العاديات: ٨) وأخبر رسول الله ﷺ أن الخير لا يأتي الا بالخير كما تقدم وانما يأتي بالشر معصية الله في الخير لا نفسه.

وأعلم الله سبحانه أنه جعل المال قواماً للأنفس وأمر بحفظه ونهى أن يأتي السفهاء من النساء والأولاد وغيرهم ومدحه النبي ﷺ بقوله: «**نعم المال الصالح مع المرء الصالح**» وقال سعيد بن المسيب: لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله يكف به وجهه عن الناس ويصل به رحمه ويعطى حقه.

وقال أبو إسحاق السبيعي: كانوا يرون السعة عوناً على الدين وقال محمد بن المنكدر: نعم العون على التقى الغنى وقال سفيان الثوري: المال في زماننا هذا سلاح المؤمن وقال يوسف بن سباط: ما كان المال في زمان منذ خلقت الدنيا أنفع منه في هذا الزمان والخير كالخيل لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر.

قالوا: وقد جعل الله سبحانه المال سبباً لحفظ البدن وحفظه سبب لحفظ النفس التي هي محل معرفة الله والإيمان به وتصديق رسله ومحبته والإنابة إليه فهو سبب عمارة الدنيا والآخرة وإنما يذم منه ما استخرج من غير وجهه وصرف في غير حقه واستعبد صاحبه وملك قلبه وشغله عن الله والدار الآخرة فيذم منه ما يتوسل به صاحبه الى المقاصد الفاسدة أو شغله عن المقاصد المحمودة فالذم للجاعل لا للمجعول قال النبي ﷺ: «**تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم**» فذم عبدهما دونهما.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان عن يزيد بن ميسرة قال: كان رجل ممن مضى جمع مالاً فأوعى، ثم أقبل على نفسه وهو في أهله، فقال: أنعم سنين فأتاه ملك الموت فقرع الباب في صورة مسكين فخرجوا إليه قال: ادعوا لي صاحب الدار فقالوا: يخرج سيدنا إلى مثلك! ثم مكث قليلاً ثم عاد فقرع الدار وصنع مثل ذلك وقال: أخبروه أني ملك الموت فلما سمع سيدهم قعد فزعاً وقال: لينوا له الكلام قالوا: ما تريد غير سيدنا بارك الله فيك؟ قال: لا فدخل عليه فقال: قم فأوص ما كنت موصياً فإني قابض نفسك قبل أن أخرج قال: فصرخ أهله وبكوا، ثم قال: افتحوا الصناديق وافتحوا أوعية المال

ففتحوها جميعاً فأقبل على المال يلعنه ويسبه يقول: لعنت من مال أنت الذي أنسيتني ربي وشغلتني عن العمل لآخرتي حتى بلغني أجلي فتكلم المال، فقال: لا تسبني ألم تكن وضيعاً في أعين الناس فرفعتك، ألم ير عليك من أثري وكنت تحضر سدد الملوك والسادة فتدخل ويحضر عباد الله الصالحون فلا يدخلون؟ ألم تكن تخطب بنات الملوك والسادة فتنكح ويخطب عباد الله الصالحون فلا ينكحون؟ ألم تكن تنفقني في سبيل الخبث فلا أتعاصى ولو أنفقتني في سبيل الله لم أتعاص عليك، وأنت ألوم مني انما خلقت أنا، وأنتم يا بني آدم من تراب فمنطلق ببر ومنطلق بإثم فهكذا يقول المال فاحذروا وفي أثر يقول الله تبارك وتعالى: أموالنا رجعت الينا سعد بها من سعد وشقى بها من شقى.

قالوا: ومن فوائد المال أنه قوام العبادات والطاعات وبه قام سوق بر الحج والجهاد وبه حصل الإنفاق الواجب، والمستحب وبه حصلت قربات العتق والوقف وبناء المساجد والقناطر وغيرها وبه يتوصل إلى النكاح الذي هو أفضل من التخلي لنوافل العباد وعليه قام سوق المروءة وبه ظهرت صفة الجود والسخاء وبه وقيت الأعراض وبه اكتسبت الاخوان والأصدقاء وبه توصل الأبرار إلى الدرجات العلى ومرافقة الذين أنعم الله عليهم فهو مرقاة يصعد بها الى أعلى غرف الجنة ويهبط منها الى أسفل سافلين وهو مقيم مجد الماجد كما أن بعض السلف يقول: لا جد إلا بفعال ولا فعال إلا بمال وكان بعضهم يقول: اللهم إني من عبادك الذين لا يصلحهم إلا الغنى وهو من أسباب رضا الله عن العبد كما كان من أسباب سخطه عليه.

وهؤلاء الثلاثة الذين ابتلاهم الله به: الأبرص والأقرع والأعمى نال به الأعمى رضى ربه ونالا به سخطه والجهاد ذروة سنام العمل وتارة يكون بالنفس وتارة يكون بالمال وربما كان الجهاد بالمال أنكى.

وبأي شيء فضل عثمان على عليّ وعلي أكثر جهاداً بنفسه وأسبق اسلاماً من عثمان.

وهذا الزبير وعبد الرحمن بن عوف أفضل من جمهور الصحابة مع الغنى

الوافر وتأثيرهما في الدين أعظم من تأثير أهل الصفة وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعته وأخبر أن ترك الرجل ورثته أغنياء خير له من تركهم فقراء وأخبر أن صاحب المال لن ينفق نفقة يبتغي بها وجه الله إلا ازداد بها درجة ورفعة وقد استعاذ رسول الله ﷺ من الفقر وقرنه بالكفر فقال: **«اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر»** فإن الخير نوعان: خير الآخرة والكفر مضاده وخير الدنيا والفقر مضاده فالفقر سبب عذاب الدنيا والكفر سبب عذاب الآخرة والله سبحانه جعل إعطاء الزكاة وظيفة الأغنياء وأخذها وظيفة الفقراء وفرق بين اليدين شرعاً وقدراً وجعل يد المعطي أعلى من الآخذ وجعل الزكاة أوساخ المال ولذلك حرمها على أطيب خلقه وعلى آله صيانة لهم وتشريفاً ورفعاً لأقدارهم.

ونحن لا ننكر أن رسول الله ﷺ كان فقيراً ثم أغناه الله والله فتح عليه وخوله ووسع عليه وكان يدخر لأهله قوت سنة ويعطي العطايا التي لم يعطها أحد غيره وكان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر ومات عن فدك والنضير وأموال خصه الله بها وقال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ (الحشر: ٧). فنزهه ربه سبحانه عن الفقر الذي يسوغ أخذ الصدقة وعوضه عما نزهه بأشرف المال وأحله وأفضله وهو ما أخذه بظل رمحه وقائم سيفه من أعداء الله الذين كان مال الله بأيديهم ظلماً وعدوانا فإنه خلق المال ليستعان به على طاعته وهو بأيدي الكفار والفجار ظلماً وعدواناً فإذا رجع إلى أوليائه وأهل طاعته فاء اليهم ما خلق لهم ولكن لم يكن غنى رسول الله ﷺ وملكه من جنس غنى بني الدنيا وأملاكهم فإن غناهم بالشيء وغناه ﷺ عن الشيء وهو الغني العالي وملكهم ملك يتصرفون فيه بحسب إرادتهم وهو ﷺ انما يتصرف في ملكه تصرف العبد الذي لا يتصرف الا بأمر سيده.

وقد اختلف الفقهاء في الفيء هل كان ملكاً للنبي ﷺ على قولين هما روايتان عن أحمد: التحقيق أن ملكه له كان نوعاً آخر من الملك وهو ملك يتصرف فيه بالأمر كما قال ﷺ: **«والله لا أعطي أحداً ولا أمنع أحداً إنما أنا قاسم أضع حيث أمرت»**. ذلك من كمال مرتبة عبوديته ولأجل ذلك لم يورث فإنه عبد

محض من كل وجه لربه عز وجل والعبد لا مال له فيورث عنه، فجمع الله سبحانه له بين أعلى أنواع الغنى، وأشرف أنواع الفقر فكمل له مراتب الكمال فليست إحدى الطائفتين بأحق به من الأخرى فكان ﷺ في فقره أصبر خلق الله وأشكرهم وكذلك في غناه.

والله تعالى جعله قدوة للأغنياء والفقراء وأي غنى أعظم من غنى من عرضت عليه مفاتيح كنوز الأرض وعرض عليه أن يجعل له الصفا ذهبا وخير بين أن يكون ملكاً نبياً وبين أن يكون عبداً نبياً فاختار أن يكون عبداً نبياً ومع هذا، فجبيت إليه أموال جزيرة العرب واليمن فأنفقها كلها، ولم يستأثر منها بشيء بل تحمل عيال المسلمين ودينهم فقال: **«من ترك مالاً فلورثته ومن ترك كلا فإليّ وعليّ»**. فرفع الله سبحانه قدره أن يكون من جملة الفقراء الذين تحل لهم الصدقة كما نزهه أن يكون من جملة الأغنياء الذين أغناهم بالأموال الموروثة بل أغنى به سواه وأغنى قلبه كل الغنى، ووسع عليه غاية السعة فأنفق غاية الإنفاق وأعطى أجل العطايا ولا استأثر بالمال ولا اتخذ منه عقاراً ولا أرضاً ولا ترك شاةً ولا بعيراً ولا عبداً ولا أمة ولا ديناراً ولا درهماً.

فإذا احتج الغني الشاكر بحاله ﷺ لم يمكنه ذلك إلا بعد أن يفعل فعله كما أن الفقير الصابر إذا احتج بحاله ﷺ لم يمكنه ذلك إلا بعد أن يصبر صبره ويترك الدنيا اختياراً لا اضطراراً فرسول الله ﷺ وفّى كل مرتبة من مرتبتي الفقر والغنى حقها وعبوديتها وأيضاً فإن الله سبحانه أغنى بهن الفقراء، فما نالت أمته الغنى إلا به وأغنى الناس من صار غيره به غنياً.

قال علي بن أبي رباح اللخمي: كنت عند مسلمة بن مخلد الأنصاري وهو يومئذ على مصر وعبد الله بن عمرو بن العاص جالس معه فتمثل مسلمة ببيت من شعر أبي طالب فقال: لو أن أبا طالب رأى ما نحن فيه اليوم من نعمة الله وكرامته لعلم أن ابن أخيه سيد قد جاء بخير فقال عبد الله بن عمرو: ويومئذ كان سيداً كريماً قد جاء بخير فقال مسلمة: ألم يقل الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ (الضحى: ٦ ـ ٨) فقال عبد

الله بن عمرو: أما اليتيم فقد كان يتيماً من أبويه وأما العيلة فكل ما كان بأيدي العرب إلى القلة يقول إن العرب كانت كلها مقلة حتى فتح الله عليه وعلى العرب الذين أسلموا ودخلوا في دين الله أفواجاً، ثم توفاه الله قبل أن يتلبس منها بشيء ومضى وتركها وحذر منها ومن فتنتها، قال: وذلك معني قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾ (الضحى: ٥) فلم تكن الدنيا لترضيه وهو لا يرضاها كلها لأمته وهو يحذر منها وتعرض عليه فيأباها وإنما هو ما يعطيه من الثواب، وما يفتح عليه وعلى أمته من ملك كسرى وقيصر ودخول الناس في الإسلام وظهور الدين إذ كان ذلك محبته ورضاه صلوات الله وسلامه عليه.

وروى سفيان الثوري عن الأوزاعي عن إسماعيل بن عبد الله بن عباس عن النبي ﷺ قال: «**رأيت ما هو مفتوح بعدي كفرا كفرا فسرني ذلك**». فنزلت: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ قال: **أعطاني ألف قصر من لؤلؤ ترابها المسك في كل قصر ما ينبغي له**».

قالوا: وما ذكرتم من الزهد في الدنيا والتقلل منها، فالزهد فيها لا ينافي الغنى بل زهد الغني أكمل من زهد الفقير، فإن الغني زهد عن قدرة والفقير عن عجز وبينهما بعد بعيد وقد كان رسول الله ﷺ في حال غناه أزهد الخلق، وكذلك إبراهيم الخليل كان كثير المال وهو أزهد الناس في الدنيا.

وقد روى الترمذي في جامعه من حديث أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «**الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعته، ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق بما في يد الله، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب في ثوابها لو أنها بقيت لك**».

وسئل الإمام أحمد عن الرجل يكون معه ألف دينار هل يكون زاهداً قال: نعم بشرط أن لا يفرح إذا زادت ولا يحزن إذا نقصت وقال بعض السلف: الزاهد من لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره وهذا من أحسن الحدود حقيقة مركبة من الصبر والشكر فلا يستحق اسم الزاهد من لا يتصف بهما فمن غلب شكره لما وسع عليه من الحلال وصبره لما عرض له من الحرام، فهو

الزاهد على الحقيقة بخلاف من غلب الحلال شكره والحرام صبره فكان شكره وصبره مغلوبين فإن هذا ليس بزاهد.

وسمعت شيخ الإسلام يقول: الزهد تركك مالا ينفعك والورع تركك ما يضرك فالزهد فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليدين منها ويقابله الشح والحرص وهو ثلاثة أقسام: زهد في الحرام، وزهد في الشبهات، والمكروهات، وزهد في الفضلات **فالأول**: فرض. **والثاني**: فضل. **والثالث**: متوسط بينهما بحسب درجة الشبهة، وإن قويت التحق بالأول والا فبالثالث، وقد يكون الثالث واجباً بمعنى أنه لابد منه وذلك لمن شمر إلى الله والدار الآخرة فزهد الفضلة يكون ضرورة فإن إرادة الدنيا قادحة في إرادة الآخرة ولا يصح للعبد مقام الإرادة حتى يفرد طلبه وإرادته ومطلوبه، فلا ينقسم المطلوب ولا الطلب..

أما توحيد المطلوب أن لا يتعلق طلبه وارادته بغير الله وما يقرب إليه ويدني منه وأما توحيده في الطلب أن يستأصل الطلب والارادة نوازع الشهوات وجواذب الهوى وتسكن الإرادة في أقطار النفس فتملأها فلا يدع فيها فضلاً لغير الانجذاب إلى جانب الحق جل جلاله فتتمحض الإرادة له ومتى تمحضت كان الزهد لصاحبها ضرورة فانه يفرغه لعمارة وقته وجمع قلبه على ما هو بصدده وقطع مواد طمعه اللاتي هي من أفسد شيء للقلب بل أصل المعاصي والفساد والفجور كله من الطمع فالزهد يقطع مواده ويفرغ البال ويملأ القلب ويستحث الجوارح ويذهب الوحشة التي بين العبد وبين ربه ويجلب الأنس به ويقوي الرغبة في ثوابه إن ضعف عن الرغبة في قربه والدنو منه وذوق حلاوة معرفته ومحبته فالزاهد أروح الناس بدنا وقلبا فان كان زهده وفراغه من الدنيا قبوله في إرادة الله والدار الآخرة بحيث فرغ قلبه لله وجعل حرصه على التقرب إليه وشحه على وقته أن يضيع منه شيء في غير ما هو أرضى لله وأحب إليه كان من أنعم الناس عيشاً وأقرهم عيناً، وأطيبهم نفساً وأفرحهم قلباً فإن الرغبة في الدنيا تشتت القلب وتبدد الشمل وتطيل الهم والغم، والحزن فهي عذاب حاضر يؤدي الى عذاب منتظر أشد منه، وتفوت على العبد من النعم أضعاف ما يروم تحصيله بالرغبة في الدنيا.

قال الإمام أحمد: حدثنا الهيثم بن جميل حدثنا ـ يعني ابن مسلم ـ عن إبراهيم ـ يعني ابن ميسرة ـ عن طاووس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن وإن الرغبة في الدنيا تطيل الهم والحزن**» وانما تحصل الهموم والغموم والأحزان من جهتين: **إحداهما**: الرغبة في الدنيا والحرص عليها **والثانية**: التقصير في أعمال البر والطاعة.

قال عبد الله بن أحمد: حدثني بيان بن الحكم حدثنا محمد بن حاتم عن بشر بن الحارث قال: حدثنا أبو بكر بن عياش عن ليث عن الحكم قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قصر العبد بالعمل ابتلاه الله عز وجل بالهم**».

وكما أن الرغبة في الدنيا أصل المعاصي الظاهرة، فهي أصل معاصي القلب من التسخط والحسد والكبر والفخر والخيلاء والتكاثر وهذا كله من امتلاء القلب بها لا من كونها في اليد وامتلاء القلب بها ينافي الشكر ورأس الشكر تفريغ القلب منها وامتداد المال كامتداد العمر والجاه، فخيركم في الدنيا من طال عمره وحسن عمله فهكذا من امتد ماله وكثر به خيره فنعم المرء وماله وجاهه إما أن يرفعه درجات واما أن يضعه درجات.

وسر المسألة أن طريق الفقر والتقلل طريق السلامة مع الصبر وطريق الغنى والسعة في الغالب طريق عطب فإن اتقى الله في ماله ووصل به رحمه وأخرج منه حق الله وليس مقصوراً على الزكاة بل من حقه إشباع الجائع وكسوة العاري وإغاثة الملهوف وإعانة المحتاج والمضطر، فطريقه طريق غنيمة، وهي فوق السلامة فمثل صاحب الفقر كمثل مريض قد حبس بمرضه عن أغراضه فهو يثاب على حسن صبره على حبسه، وأما الغنى فخطره عظيم في جمعه وكسبه وصرفه، فإذا سلم كسبه وحسن أخذه من وجهه وصرفه في حقه كان أنفع له فالفقير كالمتعبد المنقطع عن الناس والغني المنفق في وجوه الخير كالمعين والمعلم والمجاهد ولهذا جعله النبي ﷺ قرين الذي أتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها ويعلمها فهو أحد المحسودين اللذين لا ثالث لهما والجهلة يغبطون المنقطع المتخلي المقصور النفع على نفسه ويجعلونه أولى بالحسد من الغني المنفق والعالم المعلم، فإن قيل: فأيهما أفضل من يختار الغنى المتصدق والإنفاق في

وجوه البر أم من يختار الفقر والتقلل ليبعد عن الفتنة ويسلم من الآفة ويرفه قلبه على الاستعداد للآخرة فلا يشغله بالدنيا أم من لا يختار لا هذا ولا ذاك بل يختار ما اختاره الله له فلا يعين باختياره واحداً من الأمرين.

قيل: هذا موضع اختلف فيه حال السلف الصالح فمنهم من اختار المال للجهاد به والإنفاق وصرفه في وجوه البر كعبد الرحمن بن عوف، وغيره من مياسير الصحابة وكان قيس بن سعد يقول: اللهم إني من عبادك الذين لا يصلحهم إلا الغني ومنهم من اختار الفقر والتقلل كأبي ذر وجماعة من الصحابة معه وهؤلاء نظروا إلى آفات الدنيا و[illegible] الفتنة بها وأولئك نظروا إلى مصالح الإنفاق وثمراته العاجلة والآجلة والفرقة الثالثة لم تختر شيئاً بل كان اختيارها ما اختاره الله لها وكذلك اختيار طول البقاء في الدنيا لإقامة دين الله وعبادته فطائفة اختارته وتمنته وطائفة أحبت الموت ولقاء الله والراحة من الدنيا وطائفة ثالثة لم تختر هذا ولا ذاك بل اختارت ما يختاره الله لها وكان اختيارهم معلقاً بما يريده الله دون مراد معين منهم، وهي حال الصديق رضي الله عنه فإنهم قالوا له في مرض موته: ألا ندعو لك الطبيب فقال: قد رآني فقالوا: فماذا قال لك قال: قال إني فعال لما أريد والأولى حال موسى عليه السلام فإنه لما جاءه ملك الموت لطمه ففقأ عينه ولم يكن ذلك حباً منه للدنيا والعيش فيها ولكن لينفذ أوامر ربه ويقيم دينه ويجاهد أعداءه فكأنه قال لملك الموت: أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور وأنا في تنفيذ أوامر ربي وإقامة دينه، فلما عرضت عليه الحياة الطويلة وعلم أن الموت بعدها اختار ما اختاره الله له وأما نبينا صلوات الله وسلامه عليه فإن ربه أرسل اليه يخيره وكان أعلم الخلق بالله فعلم أن ربه تبارك وتعالى يحب لقاءه ويختاره له فاختار لقاء الله ولو علم أن ربه يحب له البقاء في الدنيا لتنفيذ أوامره وإقامة دينه لما اختار غير ذلك فكان اختياره تابعاً لاختيار ربه عز وجل فكما أنه لما خيره ربه عز وجل بين أن يكون ملكاً نبياً وبين أن يكون عبداً نبياً وعلم أن ربه يختار له أن يكون عبداً نبياً اختار ما اختاره الله له فكان اختياره في جميع أموره تابعاً لاختيار الله له، ولهذا يوم الحديبية احتمل ما احتمل من تلك الحال في ذاك الوقت، ووفّى هذا المقام حقه ولم يثبت عليه من كل

وجه إلا الصديق فلم يكن له اختيار في سوى ما اختاره الله له، ولأصحابه من تلك الحال التي تقرر الأمر عليها فكان راضياً بها مختاراً لها مشاهداً اختيار ربه لها، وهذا غاية العبودية فشكر الله له ذلك وجعل شكرانه ما بشره به في أول سورة الفتح حتى هنأه الصحابة به وقالوا: هنيئاً لك يا رسول الله وحق له أن يهنأ بأعظم ما هنيء به بشر صلوات الله وسلامه عليه.

فصل كمال صفات الرسول ﷺ

ومما ينبغي أن يعلم: أن كل خصلة من خصال الفضل قد أحل الله رسول ﷺ في أعلاها وخصه بذروة سنامها، فإذا احتجت بحاله فرقة من فرق الأمة التي تعرفت تلك الخصال وتقاسمتها على فضلها على غيرها أمكن الفرقة الأخرى، أن تحتج به على فضلها أيضاً فإذا احتج به الغزاة والمجاهدون على أنهم أفضل الطوائف احتج به العلماء والفقهاء على مثل ما احتج به أولئك وإذا احتج به الزهاد والمتخلفون عن الدنيا على فضلهم احتج به الداخلون في الدنيا والولاية وسياسة الرعية لإقامة دين الله وتنفيذ أمره، وإذا احتج به الفقير الصابر احتج به الغني الشاكر، واذا احتج به أهل العبادة على فضل نوافل العبادة وترجيحها احتج به العارفون على فضل المعرفة وإذا احتج به أرباب التواضع والحلم احتج به أرباب العز والقهر للمبطلين، والغلظة عليهم والبطش بهم وإذا احتج به أرباب الوقار والهيبة والرزانة احتج به أرباب الخلق الحسن والمزاح المباح الذي لا يخرج عن الحق وحسن العشرة للأهل والأصحاب وإذا احتج بهن أصحاب الصدع بالحق والقول به في المشهد والمغيب احتج به أصحاب المداراة والحياء والكرم أن يبادروا الرجل بما يكرهه في وجهه وإذا احتج به المتورعون على الورع المحمود احتج به الميسرون المسهلون الذين لا يخرجون عن سعة شريعته ويسرها وسهولتها واذا احتج من صرف عنايته إلى إصلاح دينه وقلبه احتج به من راعى إصلاح بدنه ومعيشته ودنياه فإنه ﷺ بعث لصلاح الدنيا والدين، وإذا احتج به من لم يعلق قلبه بالأسباب ولا ركن إليها احتج به من قام بالأسباب ووضعها مواضعها وأعطاها حقها.

وإذا احتج به من جاع وصبر على الجوع احتج به من شبع وشكر ربه على الشبع وإذا احتج به من أخذ بالعفو والصفح والاحتمال احتج به من انتقم في مواضع الانتقام وإذا احتج به من أعطى لله ووالى الله، احتج به من منع لله وعادى لله وإذا احتج به من لم يدخر شيئاً لغد احتج به من يدخر لأهله قوت سنة وإذا احتج به من يأكل الخشن من القوت والأدم كخبز الشعير والخل احتج به من يأكل اللذيذ الطيب كالشوي، والحلوى والفاكهة والبطيخ ونحوه واذا احتج به من سرد الصوم احتج به من سرد الفطر فكان يصوم حتى يقال: لا يفطر ويفطر حتى يقال: لا يصوم وإذا احتج به من رغب عن الطيبات والمشتهيات احتج به من أحب أطيب ما في الدنيا، وهو النساء والطيب وإذا احتج به من ألان جانبه وخفض جناحه لنسائه احتج به من أدبهن وألمهن وطلق وهجر وخيرهن وإذا احتج به من ترك مباشرة أسباب المعيشة بنفسه احتج به من باشرها بنفسه، فآجر واستأجر وباع واشترى واستسلف وأدان ورهن وإذا احتج به من يجتنب النساء بالكلية في الحيض، والصيام احتج به من يباشر امرأته وهي حائض بغير الوطء، ومن يقبل امرأته وهو صائم، وإذا احتج به من رحم أهل المعاصي بالقدر احتج به من أقام عليهم حدود الله، فقطع السارق ورجم الزاني وجلد الشارب وإذا احتج به من أرباب الحكم بالظاهر احتج به أرباب السياسة العادلة المبنية على القرائن الظاهرة فإنه حبس في تهمة وعاقب في تهمة، وأخبر عن نبي الله سليمان: أنه عليه السلام حكم بالولد للمرأة بالقرينة الظاهرة مع اعترافها لصاحبتها به فلم يحكم بالاعتراف الذي ظهر له بطلانه بالقرينة، وترجم أبو عبد الرحمن على الحديث ترجمتين: إحداهما: قال: التوسعة للحاكم أن يقول للشيء الذي لا يفعله افعله ليتبين به الحق، ثم قال الثانية الحكم بخلاف ما يعترف به المحكوم عليه إذا تبين للحاكم أن الحق غير ما اعترف به وكذلك الصحابة عملوا بالقرائن في حياته وبعده، فقال علي رضي الله عنه للمرأة التي حملت كتاب حاطب: لتخرجن الكتاب أو لأجردنك. وحد عمر رضي الله عنه في الزنا بالحبل وفي الخمر بالرائحة.

وحكى الله سبحانه عن شاهد يوسف حكاية مقرر عن منكر أنه حكم بقرينة

شق القميص من دبر على براءته وقال ﷺ لابن أبي الحقيق ـ وقد زعم أن النفقة أذهبت كنز حيي بن أخطب ـ: «**العهد قريب والمال أكثر من ذلك**». فاعتبر قرينتين دالتين على بقاء المال وعاقبه حتى وجوز لأولياء القتيل أن يحلفوا على رجل أنه قتله ويقتلونه به بناء على القرائن المرجحة صدقهم وشرع الله سبحانه رجم المرأة إذا شهد عليها زوجها في اللعان وأبت أن تلاعن للقرينة الظاهرة على صدقه وشريعته ﷺ طافحة بذلك لمن تأملها فالحكم بالقرائن الظاهرة من نفس شريعته وما جاء به فهو حجة لقضاة الحق وولاة العدل كما أنه حجة على قضاة السوء وولاة الجور والله المستعان.

والمقصود بهذا الفصل أنه ليس الفقراء الصابرون بأحق به ﷺ من الأغنياء الشاكرين وأحق الناس به أعلمهم بسنته وأتبعهم لها وبالله التوفيق.

□

obeikandl.com